الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات

ميدان اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة:

الحضور الديني في قصيدة مفدي زكريا
-فلا عز حتى تستقل الجزائر-
" نموذجا "

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص الأدب العربي

إعداد الطلبة:

- بازولة خرفية
- مريخي رشيدة

إشراف الأستاذة:

الوالي سعاد

السنة الجامعية: 2010-2011

مقدمـــة

مقدمـــة

الأدب الجزائري ثري بشقيه الشعري و النثري ’و قد جسد أدب الثورة هذا الثراء و لا سيما في جانبه الشعري لذلك فكرت في أن أبحث في أدب الثورة ’لأنها أهم قضية عاشها الأدب الجزائري الحديث من جهة ’و لأن من كتب عنها يطغى عليه الجانب التاريخي الجاف من جهة أخرى و من خلال هذا التفكير اهتديت إلى مفدي زكريا و قد أغراني بدراسة شعره عاملان جعلاني أقطع خط التفكير و أعزم على الموضوع المحدد .

–أولهما :أن مفدي زكريا شاعر الثورة الأول كثرة و إجادة دراسة شعره تعني تعني دراسة شعره الثورة في الصميم .

ثانيهما:أنه لم تظهر أية دراسة علمية لشعره ’ماعدا دراسات صحفية قليلة و مقتضية تظهر في بعض مناسبات الاحتفال بذكرى الثورة منها دراسة .....

البحث في الحضور الديني في قصيدة فك عز حتى تستقل الجزائر لمفدي زكريا محاولة إماطة الشام

- وكي
- تكون لدراستي نتائج جديدة تمتعني بلذة الاكتشاف و ارتأيت أن أركز على جانب الحضور الديني في قصيدته ”فلا عز حتى تستقل الجزائر” و قد أكد هذا الرأي عندي أن الأداة أو الألفاظ الدينية عند مفدي جديرة بالدراسة ’بقد ماهي جديرة بها مضامينها الدينية لهذا كله الموضوع نهائي تحت عنوان –الحضور الديني في قصيدة فك عز حتى تستقل الجزائر–
- و قد قسمته إلى مقدمة + التمهيد و خاتمة.

المقدمة و التمهيد ’ فيلقيان الضوء على مدى تأثر الشعراء الجزائريين بالثقافة الإسلامية خاصة القرآن الكريم و الفصل الأول هو نبذة تاريخية عن حية الشاعر مفدي زكريا

أما الفصل الثاني فيضم مرجعيات الخطاب الشعري عنده .

و الفصل الثالث فيحتوي على تحليلات الخطاب الشعري في قصائده

أم الفصل الرابع و هو الأخير فقد تطرقت فيه إلى الحضور الديني في قصيدة– فلا عز حتى تستقل الجزائر –

كما أدهشني بعض الصعوبات خاصة في اقتناء الكتب التي تخدم الموضوع.

و في الأخير لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الوالي سعاد فلها مني جزيل الشكر ووافر الامتنان على المجهودات التي بذلتها لقراءة المذكرة و تصحيحها و تقويمها برأيها السديد فجزاها الله خيرا الجزاء وما توفيقي إلا بالله و به نستعين.

التعريف بالشاعر:

مفدي زكرياء حياته,نضاله

هو مفدي زكرياء بن سليمان ,لقبه آل الشيخ ,ولد ببني يزقن من قرى واد ميزاب بالجنوب الجزائري سنة 1908م بدأ تعلمه بالكتاب في مسقط رأسه" ,و في السابعة من عمره أنتقل إلى مدينة عنابة حيث يعمل أبوه تاجر و هناك واصل دراسته."[1]

وفي سنة 1924 ذهب إلى تونس ضمن بعثة طلابية فزاول الدراسة بمدرسة السلام ثم الخلدونية، ثم بجامع الزيتونة ، حيث رجع إلى الجزائر أواخر سنة 1926 ، و أنخرط في حزب شمال إفريقيا .

" ثم أصبح أمينا عاما لحزب الشعب سنة 1937 ، و رئيس تحرير جريدة الشعب"[2]
وقد دخل السجن عام 1937 بسبب كتاباته التحريضية و حديثه عن الحرية و الوطن ، بسجن بربروس لمدة سنتين و لما أطلق سراحه سنة 1939 كانت الإدارة الاستعمارية أوقفت نشاط الحركة سجن مرة أخرى في بربروس و البرواقية و الحراش .

وعاد إلى الانخراط في صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1946 ، كان لمفدي زكرياء دورا هاما في ثورة نوفمبر الكبرى سياسيا خاصة بشعره فقدم بطولات الثورة و أمجادها و كانت له قصيدة قسما التي أصبحت فيما بعد النشيد الرسمي للجزائر ، أعيد اعتقاله سنة 1955 و لم يفرج عنه إلا بعد سنة 1959.

أنتقل إلى الخارج ، فزار ليبيا و سوريا و مصر و تونس و المغرب و كانت محطاته منابر لمحاضرات و إلقاء قصائد شعرية تروي كفاح الشعب الجزائري ، دعا في رحلته هذه الأشقاء إلى مساندة الثورة الجزائرية المجيدة .

ويستحق مفدي أن ينال الاحترام و التقدير لأنه كان بمثابة المدافع الصلب عن الوحدة العربية ، ليس بما كتب من قصائد في هذا الغرض فحسب ، بل بما بذل و ضحى في سبيل مبدأه القومي متوجا قوله بفعله ، فلقد دفع الثمن من حريته إذ زج به العدو من سجن إلى سجن ، فلم يجزع أو تهن عزيمته بل زاده الاضطهاد و التعذيب إيمانا بحرية وطنه و عروبته.

شاعريته:

بدأ مفدي كتابة الشعر في سن مبكرة من عمره و لم يتجاوز الثامنة عشر فقال <<..فأما الشعر فأنا فيه أستاذ نفسي غير أني أعرض بضاعتي على أساتذتي و رؤساء البعثة الميزابية ، و لقد قرأت الزحافات و العلل و الدوائر....[3]>>.

وكان من ضمن تلك الثلة من الشعراء التي ضمها مؤلف الأستاذ محمد الهادي السنوسي شعراء الجزائر في العصر الحاضر.

---

[1]- يحى الشيخ صالح ، سعر الثورة عند مفدي زكرياء ، ط1 1407 هـ - 1987م ، ص 38.
[2]- بوبكر حداد ، شخصيات وطنية – الزيتونة للاعلام و النشر باتنة الجزائر – 2003 دط ص 32.
[3]- عبد المالك مرتاض ، معجم الشعراء الجزائريين ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر، 2007 ، دط ص75

وقد كانت هناك عوامل ساعدت الشاعر على الظهور في معترك الحياة الأدبية ، تتميز البعثة الميزابية عن غيرها من البعثات التي حظيت بعلماء و أساتذة كانوا مستعدين لتكوين من يستطيع الاعتماد عليهم في شتى المجالات.

"هذه البعثة التي شهد لها **عبد الحميد بن باديس** بالصلاح في الأخلاق و الابتكار في المنهج الذي انعكس تطبيقه على أبناء البعثة و التي كان مفدي أحد أبنائها حيث و جد المجال مفتوح و الفرصة مواتية فأدلى بدلوه في كل نشاط تقوم به الجمعية، منها على سبيل المثال مجلة الوفاق المخصصة للناشئين كانت الباب الذي يخرج به شاعريته عن طريق نشر شعره فيه."[1]

بالإضافة إلى إطلاعه الواسع على فنون الثقافة العربية و اتجاهاتها، و أجناسها و بطولاتها بالإضافة إلى تأثره الكبير بالقرآن الكريم باعتباره كتاب معجزة بيانية بلاغة عربية.

و كذلك ارتباطه وصلته بعناصر و حركات التحرر العربية الحديثة و **التي عملت على** بث و نشر الوعي الوطني التحرري بين صفوف الأجيال الجديدة

كما أن حسه المرهف و الشعور الرقيق و الذكاء و البديهية لذلك كان يثير الإعجاب في صفوف أساتذته و زملائه.

هذا إلى جانب البيئة التونسية التي عاش فيها، حيث الأندية الأدبية كثيرة و الصحف التي فتحت أبوابها أمامه وكل من كان له طموح و استعداد لأن يدخل في معترك الحياة السياسية و الفكرية و الأدبية

هذا عن الأسباب العامة أتي لعبت دورها في شاعريته ، أما عن الخاصة منها أن مفدي زكرياء كان صاحب شعور مرهف و إحساس دقيق و نفس تواقة طموحة ، **و** إطلاعه على أمهات الكتب في اللغة و آدابها كما لا ننسى إطلاعه على بحور الشعر و قواعد العروض.

وما تميز شعره به أنه كان صادرا عن تجربة نضالية طويلة ، واكبت تطور الحركة الوطنية في الجزائر منذ منتصف عشرينيات هذا القرن 1925م ، إلى أن احتضنتها تجربة ثورة نوفمبر 1954م فاستحق بذلك أن يلقب شاعر الثورة الجزائرية ، فهل من منازع؟؟؟

و ربما أول قصيدة هي **تلك** التي يرثي فيها أضحية العيد بعنوان **كبش الفداء** أما الثانية فبمناسبة تأسيس نجم شمال إفريقيا.

[1]- شريبط أحمد شريبط ، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر مؤسسة الشروق للإعلام و النشر 2001م ،طبعة الأولى ص 164.

الظروف السياسية المحيطة بالشاعر:

إن الثورة الجزائرية هي أقوى وأعنف ثورة عرفتها البشرية ، راح ضحيتها حوالي **مليون ونصف مليون شهيد**، فهي ثورة الحق والعدالة والهوية، هذا الإستذمار القوي الذي كان مدركا إلى أن صرحه الذي شده بالجزائر بقوة البطش والسلاح سيبقى مهددا بالانهيار في أية لحظة، ما دام في صور أبنائها إيمان قوي ، وتمسكه بالعقيدة الإسلامية، ومادامت تجري على ألسنتهم لغة قوية ، هي لغة القرآن الكريم، تحمل تراثا أصيلا وحضارة عريقة ولذلك حولت معظم المساجد إلى كنائس وحاربوا الدين الإسلامي الذي يأبى العبودية لغير الله، حتى يفرغوه من محتواه وكل مقوماته الحضارية (اللغوية والعقائدية).

واستطاع الاستعمار في فترة وجيزة أن يحقق ما كان يصبوا إليه ، إذ أصبحت اللغة العربية ممنوعة التدريس في ديارها، وما كان على **مفدي زكريا** بوصفه من الطبقة المثقفة أن يتسلح بإمكانياته القليلة وإرادته القوية ليصلح كل ذلك الفساد.

إن هذا الاحتكار والتفكك السياسي والاجتماعي الذي يهدف إليه الاستعمار هو الذي منحه الجرأة على الكتابة –على الأقل– وأيقض فيه روح المثابرة والغيرة على وطنه ، يضاف إليها عامل الصحوة وخوفه على ثورة الشعب الواعدة بالنصر،هذا ما جعله ينحى منحى خطابي خاص، ويردد ألفاظا ويستعمل صورا من السور القرآنية لما يراه من قدسية ثورة التحرير لأنها جهاد في سبيل الله، ولا سيما إذا علمنا أنه قوي الإيمان بالإسلام.

فيحاول أن يغير في المضمون المشفوع بلغة خاصة المستمدة من ثقافته الإسلامية وشكل قصائده في ظل الخصوصية الإسلامية مطالبا فيها بالحرية.

والحرية عند **مفدي زكريا** لا تؤخذ بثورة قوية تستمد قوتها من الاتكال على الله ، لا التواكل وبإيمانها بعدالة الله وقدرته على تحقيق النصر لمن يشاء ، فشاعرنا يؤمن بأن المقادير بيد الله ولكن على الإنسان أن يدافع عن حقه "لأن الجهاد إنما فرض على المسلم فرضا لذلك السبب".[1]

[1]- ينظر ، نورة حملاوي – مجلة الضاد، دار الشهاب للطباعة والنشر، أكتوبر 1983م، العددان 6-7، ص 15.

ويبقى شاعرنا **مفدي زكريا** بين هذا وذاك شاعر الثورة الجزائرية والحماسة المتدفقة بلا حدود وشاعر اللفظة المدوية الصاخبة القوية.

وبعد عودة **مفدي** من تونس في أواخر العشرينيات، شارك بقلمه في الصحافة الجزائرية ولاسيما في صحافة أبي اليقضان التي كانت تعتز بإنتاجه وتنوه بمواقفه وأفكاره ، ومن أبرز مواقف **مفدي** في هذا الصدد قصيدته الرائعة التي ساند بها جريدة واد ميزاب وندد بكل الأعداء الذين يحاربونها ويقفون دون انتشار، وسجل إعجابه الكبير بوقف الشعب النضالي من السلطة الفرنسية.

"وهكذا دفعه حماسه الوطني الجارف إلى العمل ضمن صفوف طلبة شمال إفريقيا، فكان الصوت المتميز الداعي إلى وحدة المغرب العربي الكبير للوقوف صفا متراصا وجبهة موحدة ضد الاستعمار الفرنسي، وفي هذه الأثناء اكتشف حركة استقلالية سرية تدعى "**حزب نجم شمال إفريقيا**" فانخرط فيها بحماس".[1]

و في سنة 1936م أظهرت الحكومة الواجهة الشعبية ذات الميول اليسارية التي تسلمت الحكم ، بعض التسامح اتجاه حرية الفكر و التعبير ، و من ثم ظهر حزب **نجم شمال إفريقيا**.

وشرف مناضلوه **مفدي زكريا** تقديرا لجهوده النضالية بإسناد الأمانة العامة إليه، ورئاسة اللجنة التنفيذية ثم رئاسة تحرير جريدة الشعب، وفي هذه الأثناء يبرز زكريا في الميدان السياسي العملي ، بروزا واضحا فقاد وفودا وطنية في كل من الجزائر وتونس عدت مرات.

ونظرا لشعره الصارم الصريح اللاذع ضد المستعمر مثل قوله:

يا فرنسا لا تجهلينا فإنا ** قد نهضنا فلا نطيق ركودا[2]

وقوله

كل من يرتضي حياة هوان ** ظل في أرضه الشريد الطريدا[3]

وهو يقصد في هذا البيت أنه من يرضى أن يعيش حياة الذل يظل ضائعا شريدا هائما في أرضه.

---

[1] محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، جمعية التراث للطباعة والنشر، العطف غرداية، د ت، الطبعة الثانية، ص 47.
[2] محمد ناصر، مجلة الوطن، جمعية التراث للطباعة والنشر، 1937م ، العدد 22، ص 50.
[3] المرجع نفسه، ص 53.

وهنا السلطة الاستعمارية لم تألف هذه اللهجة، ولم تتعود أن يتطاول عليها جزائري فيخاطبها بمثل هذا الأسلوب اللافح ، فما كان منها إلا أن سارعت إلى الإطباق على الجريدة فصادرتها وإلى رئيس تحريرها ، فأودعته سجن بربوس وإلى سكناه سكناه ببني يزقن فقلبته تفتيشا.

وقضى في غياهب السجن عامين كاملين، وبعد اندلاع الحرب العظمى أطلق سراح الشاعر، وشهدت الحركة الوطنية تمزقا، لكن مفدي ظل محايدا ولم يتورط في الفتن الهوجاء، إلى أن جاء الوعد الحق واندلعت الثورة المباركة وانتصبت جبهة التحرير الوطني وارتمى في أحضانها بكل إمكاناته الروحية والمادية فأنشأ نشيد الجزائر الخالد، النشيد الرسمي **قسما** على الثورة والشهادة، والنصر باسم الشعب والشهداء في كل ناحية من نواحي القطر الجزائري "**قسما بالنازلات الماحقات**"[1]

"وألقي عليه القبض مرة أخرى يوم 12 أبريل 1956م وظل يرسل ملاحمه وأناشيده وقصائده الثورية من أعماق بربروس ،والبرواقية، والحراش تتخطى الآفاق وتوقع خطوات أعظم ثورة في القرن العشرين، فارتبط اسم الشاعر باسم ثورة المليون شهيد، فكان هذا أعظم فخر يناله **مفدي زكريا** حيا وميتا وهكذا يتبن لنا كيف ارتبط الحس بشعر **مفدي زكريا** منذ قصيدته التي أشاد فيها بثورة الريف في سنة 1925م، وكيف كان هذا الشعر منذ البداية سبب محنته وبلاءه وتعرضه للاعتقال والحبس والملاحقة، وكان ذلك قدره طيلة مشواره الشعري الذي دام اثنين وخمسين سنة"[2].

" كما يتضح من خلال شعره الوجه الأصيل للجزائر العربية المسلمة التي ظل أبناؤها أبدا متقدي البصيرة الذي معتزين بشعارهم الخالد الذي يمثل مثلثا مقدسا ذا أضلاع لا يمكن مساسها أو زحزحتها وهي "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، والجزائر وطننا"[3]

[1] **المرجع السابق**، ص 54.
[2] **ا**ينظر، محمد ناصر مجلة الوطن ، جمعية التراث للطباعة و النشر ، ص 55.
[3] **المرجع** نفسه، ص 57.

آثاره:

خلال نصف قرن من العطاء الأدبي المتواصل أي من عام 1925م إلى غاية 1977م، لم يخلف لنا الشاعر وراءه غير أربعة مجموعات شعرية مطبوعة والباقي لم يطبع والمطبوعات نذكرها كالتالي:

1- اللهب المقدس: وهو ديوان الثورة الجزائرية صدر ضمن منشورات المكتب التجاري في بيروت في طبعته الأولى، في نوفمبر 1961م، ثم صدرت طبعته الثانية بالجزائر في 35 صفحة من الحجم الكبير.

2- تحت ظلال الزيتون: وهو صادر عن المطبعة الرسمية سنة 1965م في 176 صفحة من الحجم الكبير.

3- إلياذة الجزائر: ظهرت بالجزائر عام 1973م ضمن منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ثم صدرت في جويلية 1987 طبعة أنيقة عن المؤسسة الوطنية لكتاب في 120 صفحة من الحجم الكبير.

4- من وحي الأطلس: وهو صادر عن مطبعة الأنباء بالرباط عام 1976م في 248 صفحة ، من الحجم الكبير

"وإلى جانب ذلك هناك نماذج من إنتاجه المغمور جمعها **د.محمد ناصر** ليتوج بها **كتابه مفدي زكريا شاعر النضال والثورة** ، الصادرة عن المطبعة العربية في غرداية عام 1985م وتغطي هذه النماذج 44 صفحة ونشرت من قبل بعض الصحف والمجلات الجزائرية والتونسية على وجه الخصوص".[1]

وفاته:

رغم أن ظروف شاعرنا قد اضطرته إلى الإقامة خارج الوطن إلا أن ارتباطه به كان لا يضاهى وليس له لمثيل إذ تجده يقول:

وقالوا هجرت ربوع البلاد ** وهمت مع الشعر في كل واد

أجل: لقد بعدت لأزداد قربا ** ويلهب حب بلادي فؤادي

[1] **بلقاسم بن عبد الله**: مفدي زكريا شاعر مجد ثورة حوارات وذكريات، دار هومة للطباعة والنشر، 2003، ص 9-10

أرى في كيان الجزائر ذاتي ** بكل اعتزاز وكل اعتدادي

وإني بتخليد مجد بلادي ** مقيم على العهد رغم البعاد[1]

وإننا نلمس في الأبيات السابقة كأن الشاعر يودع بلاده ، وكان قبل هذا طلب الأمان منها حين كتب في الإليادة التي قال فيها (بلادي بلادي الأمان الأمان).

كأنه استشعر قرب ميتته، وأخيرا عاد جثمانه الطاهر إلى وطنه في طائر جزائرية أقلته من تونس بأمر من الرئيس الراحل **هواري بومدين**، ليوارى التراب بمسقط رأسه في وادي ميزاب مغطى بالعلم الوطني الذي أنشد فيه أحلى القصائد، ولقد توفي إثر سكتة قلبية، في الثالث رمضان من عام 1397هـ الموافق لشهر أوت 1977م. بعد أن أدى فريضة الحج مع زوجته، وقد ترك ثلاثة أولاد هم: سليمان، صالح و فطيمة.

وخرجت لوداعه جموع الشعب الذي طالما تغنى بأشعاره وقصائده.

فسلام عليك يا شاعرنا المناضل في الخالدين وسلام عليك مع الشعراء وهذا تبعا لما **قاله الله تعالى** << الذين آمنوا وعملوا الصالحات[2]>>

فوداعا وألف وداع رحمك الله وأسكنك فسيح جنانه.

[1] سليمة كسيب، من أعلام الجزائر فب العصر الحديث، المكتبة الخضراء للطباعة والنشر (دت) ص 10-12.

[2] - **الشعراء** 677.

من أبرز الظواهر الفنية التي تلفت النظر في تجربة الشعر الجديدة الإكثار من استخدام الرمز والأسطورة أداة للتعبير وليس غريب أن يستخدم الشاعر الرموز والأساطير ، في شعره فالعلاقة القديمة بينهما ، وبين الشعر ترشح لهذا الاستخدام وتدل عندئذ على بصيرة كافية ، بطبيعة الشعر والتعبير الشعري.

ولهذا يجب التأمل في طبيعة الرموز والأساطير التي يستخدمها شاعرنا **مفدي زكريا** ،وكذلك في طريقة استخدامه لها وسنعرج الآن إلى الحديث عن الرمز والأسطورة وحظهما في شعره.

1-الرمز : طبيعة الرمز طبيعة غنية ومثيرة تتفرق دراستها في فروع شتى من المعرفة ، ونحن بصدد التعرف على طبيعة الرمز الشعري بصفة خاصة عند -**مفدي زكريا**-[1]

ومن الصور الواردة في القرءان الكريم تلك الصور المثيرة التي نجدها في شعره ، قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام ، حيث يوردها الله سبحانه وتعالى للعبرة والإقتداء وهي من أروع آيات القرآن الكريم إثارة وعمق ورسوخا في ذاكرة المسلمين ، لأنها تثير العاطفة بمواقفها الإنسانية وتغدي النفس بمثلها الأخلاقية ، ففيها الصراع بين الحق والباطل ،كما أنها تشوق القارئ بأسلوبها القصصي وإذا كانت هذه القصص واقعة تاريخيا بأحداثها وشخصياتها بزمانها فإنها ما لبثت أن تحولت عند الشعراء رموزا لتلك المعاني.

و المواقف التي تسجلها من خلال أبطالها فهذا سيدي موسى مثالا للثبات على الحق رغم الجبروت والظلم وسيدنا عيسى مثالا للسمو والنقاء والتسامح وسيدنا يوسف مثالا للعفة والطهر وسيدنا أيوب رمزا للصبر , وسيدنا إبراهيم رمزا للفداء والتضحية في سبيل العقيدة إلى آخر هذه المثل والأخلاق العالية التي هي من خصائص الأنبياء والرسل عليهم السلام[2] .

وفي شعر **مفدي زكرياء** نجد هذه الصور والمستوحاة من هذه القصص القرآنية يستلهمها الشاعر عادة من قصص الأنبياء عليهم السلام وهو كثير الوقوف عند قصص المعجزات ، يوردها عندما يريد تصوير بعض الأحداث السياسية أو الاجتماعية الهامة التي يرغب في إبراز عضمتها وجلالها ، وهو يشير إليها من خلال أبطالها وأعلامها مستخدما الأسلوب الرمزي وقد دأب زكريا على هذا التوظيف في أغلب قصائده عن الثورة الجزائرية وقد جاء ذلك عندما أراد التعبير عن عظمة الثورة ورسوخ قدمها وصلابتها ، وكأن فعل الثورة المعجزة لا يقل نجاعة وتأثيرا عن نجاعة و تأثير معجزات الأنبياء والرسل.

2-الأسطورة: لفظة باللغة الغربية (my thos) وتعني في الأصل- الكلمة- وقد كان ظهورا للفظة في حياة الإنسان معجزات لم يعدلها في حياته، ولقد تطورت هذه الكلمة من لفظ my thos إلىEPOS ثم إلى هذا LOGOS، فقد تطورت من الكلمة التي تعني تفكير الإنسان الرمزي وتعبيره عن أقدم صورة من صور وعيه ،إلى الكلمة التي تعني كراز من القيم العقلية ويتمثل لنا هذا الاختلاف في دلالة اللفظ عبر الأزمان عندما تتمثل الأساطير القديمة ذات الطابع الخرافي الصرف ، حيث كان التعبير كله رمزا ثم

[1]- عزا لدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية ، د م ، ط3 – 1971م ، ص 195.
[2]- محمد ناصر ، مفدي زكرياء شاعر النضال و الثورة ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، 1989 م، ص 119.

أطلق أرسطو كلمة my thos على المسرحية ، فيما يقابل كلمة PLOT في المصطلح الحديث أي مجموعة الأحداث المرتبطة التي تكون في مجموعها بنية موحدة .

وقد أستعمل **مفدي زكريا** الأسطورة بشكل ملفت للانتباه في قصائده واستعان بها في تقوية ألفاظه وعباراته من بين هذه الأساطير الأدب اليوناني وكذا المأثور الشعبي الذي تمتزج في الأسطورة بحقائق التاريخ واللذان يعتبران منبعا خصبا لصياغته الشعرية .

"الأسطورة .....هي التفكير في القوى البدئية الفاعلة ،الغائبة وراء هذا المظهر المتبدي للعالم و كيفية عملها وتأثيرها،و ترابطها مع عالمنا و حياتنا ،إنها أسلوب في المعرفة و الكشف ،و التواصل للحقائق ،ووضع نظام مفهوم و معقول للوجود يقنع به الإنسان و يجد مكانه الحقيقي ضمنه ،و دوره الفعال فيه ،إنها الإطار الأسبق و الأداة الأقدم للتفكير الإنساني المبدع "

تعريف القرآن لفتا وإصطلاحا :

لفتا : القرآن من الفعل قرأ ويعني التنزيل المزيد والتي تدوم على ماهو أبسط منه لشرفه قرآة يقرؤه ويقرؤه الأخيرة عن الزجاج قراءة وقرآن الأول عن الحاني فهو مقروءة .

– أبو إسحاق النحوي يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كتابا وفرقانا ومعنى القرآن معنى الجميع وسمى قرآنا لإنه يجمع السور فيضعها وقوله تعالى: << إن علينا جمعه وقرآته>> أي جمعه وقراتئه فإذا قرآناه فتبع أي قراءته .

– قال إبن عباس رضي الله عنهما فإذا بيناه لك بالقراءة فاعمل بما بيناه .

وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر النهي والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر الغفران والكفران .

قال وقد يطلق على الصلاة لأن فيها قراءة تسمية للشيء يدفعه وعلى القراءة نفسها يقال قرأ يقرأ قراءة وقرآنا و الإقتراء افتعال من القراءة قال : وقد تحذف الهمزة منه تخفيف فيقال " قران وقرين وقار .ونحو ذلك من التصريف [1] .

وفي الحديث أكثر من ففي أمتي قراؤها ،أي أنهم يحفضون القرآن نفيا للتهمة عن أنفسهم،و هم يعتقدون تضيعه و كان المنافقون في عصر النبي صلى الله عليه و سلم بهذه الصفة .

إصطلاحا: "هو الوحي المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز".[2]

كما اعتنى الأصوليون بتعريف القرآن الكريم إذ ذكروا له تعاريف عديدة وعمل كل واحد على أن يكون تعريفه جامعا مانعا ، منها:"القرآن هو الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صابر بيروت ، المجلد الخامس ط 1 ، 1997 ، ص 216.

[2]- بدر الدين محمد الله الزركشي –البرهان في علوم القرآن- ط3 ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1980م ، ص318/1

المنقول إلينا متواترا بلا شبهة"[1] بمعنى انه نقل إلينا متواترا بدون تحريف ويقول إبن خلدون:" القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفني المصحف وهو متواتر بين الأمة"[2].

والقرآن الكريم يتعذر تعريفه بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، بحيث يكون تعريفه حدا حقيقا ، والحد الحقيقي له هو إستحضاره معهودا في الذهن ، أو مشاهدا بالحس كأن تشير إليه مكتوبا في المصحف أو مقروءا باللسان فتقول: هو ما بين هاتين الدفتين.

ويذكر العلماء تعريف له يقرب معناه ويميزه عن غيره فيعرفونه بأنه :" كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم الموحى به إلى الرسول بلفظه ، وتحدى به العرب فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو يعثر سورة مثله ،أو بصورة من مثله المتعبد بتلاوته ،المنقول بالتواتر قطعي الثبوث و هو معجزة الإسلام "[3]

[1]-أصول البزدوي د،م،د،ت ، طبعة 01 ، ص21 ،23 .
[2]- عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة (د . ط بيروت ، دار الكتاب اللبناني 1981م) م1 ، ج2 ، ص783.
[3]- مباحث في علوم القرآن ، الناع القطحان ، مؤسسة الرسالة ، ص 110.

تعريف الأدب لغتا واصطلاحا

– **لغتا:** الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس ، مسمى أدب لأنه يأدب الناس إلى المحامد ، وينهاهم عن المقابح ، وأصل الأدب الدعاء ، ومنه قيل للضيع يدعى إليه الناس ، مدعاة ومأدبة .

– يقول إبن بزرج – لقد آدبت آدب أدبا حسن وأنت أديب.

– وقال أبوزيد – أدب الرجل ، يأدب أدبا ، فهو أديب.

وأرب يأرب آرابة وأربا ، في العقل ، فهو أريب.

– الأدب : أدب النفس والدرس.

– الأدب : الظرف وحسن التناول.

أدب: بالفهم ، فهو أديب من قوم أدباء.

وأدبه فتأدب : علمه واستعلمه الزجاج في الله عزوجل.

فقال : وهذا ما أدب الله تعالى به نبيه.

وفلان قد استأدب بمعنى تأدب ويقال للبعير إذا ريض وديل – أديب مؤدب – وقال مزاحم الفقيلي.

– وهن يصرفن النوى بين عالج

ونجران ، تصريف الأديب المدلل. [1]

2– تعريف الأدب إصطلاحا :

قامت محاولات كثيرة لتعريف الأدب "الأدب كتابة تخيلية"أي كتابة ليست حقيقية بالمعنى الحرفي للكلمة ،و لعل من الممكن تعريف الأدب ليس تبعا لها إذا كان تخيليا و إنما لأنه يستخدم اللغة بطرائق غير مألوفة ،فالأدب نوع من الكتابة تمثل عنفا منضما يرتكب بحق الكلام الاعتيادي .

و هناك من يرى كذلك أن الأدب مؤسسة اجتماعية أذاته اللغة ،و هي من خلق المجتمع ،أضف إلى ذلك أن الأدب يمثل "الحياة" و الحياة في أوسع مقاييسها حقيقة اجتماعية،فالأدب تعبير عن المجتمع .

– التاريخ: و هو المادة الخام الأولية التي تعد من أغنى المصادر ،التي يستقي منها الشعراء الجزائريون الإحيائيون، فالتاريخ كمادة علمية يكون مع العلوم الشرعية ، و اللغوية، الضلع الثالث الذي يتكون منه هذا المثلث،الذي يمثل الثقافة العربية السلفية ، و من ثم جاءت الإشارات التاريخية بكثرة في ثنايا هذا الشعر ، و لكنها لم تتجاوز عند جل الشعراء حدود الاستعراض السطحي ، و التشبيه الواعي ، و المقارنة البسيطة و هذا النوع من التصوير ليس بواسع و هناك نمط آخر بعيد كل البعد عن التصوير الأول و هو الذي يبذل فيه صاحبه جهدا فنيا ملحوظا و يتغلغل أثناءه إلى أعماق الصورة ، يربط فيها بين الماضي و الحاضر و يستنطق فيها الأعلام و الشخصيات و يحرك الواقع و الأحداث بما يضفيه عليها من خياله و إبداعه .[2]

[1]- إبن منظور –لسان العرب- دار صادر بيروت – 1997م- المجلد 01 – مادة أدب.

[2]- ينظر- محمد ناصر – مفدي زكرياء شاعر الثورة و النضال – جمعية التراث للنشر العطف- غرداية – 1987/12/7-ط2 ، ص 143.

و هكذا كان للتاريخ خظه الوافر في شعر مفدي ، و كان له الدور النافع .

التناص:

لقد فهم التناص على أنه مجرد تقاطع بعدد من النصوص و الأساليب داخل نص واحد أو هو إرجاع النص إلى مصادره الثقافية القديمة أو الحديثة أو المعاصرة,و هو يتداخل مع مصطلحات أخرى قريبة منه مثل :الأدب المقارن,المحكاة ,المثاقفة ,دراسة المصادر .

و التناص في نظر **ريفاتير** له دور بارز في تمويه المعنى و تحويله نحو قابلية النص للتدليل و هذا يكون بحسب إختلاف القراء و لنوعية القراءة ,فرأيه يبطل فكرة النقد الكلاسيكي ,الذي يرى أن النصوص تكون لها معان محددة سلفا من قبل الكاتب .

و يعرفه **تدروف** لقوله:(إنه من الوهم أن نعتقد أن العمل الأدبي له وجود مستقل ,إنه يظهر مندمجا داخل مجال أدبي ممتلئ بالأعمال السابقة, إن كل عمل فني يدخل في علاقة معقدة مع أعمال الماضي التي تكون حسب المراحل التاريخية تراتبية مختلفة)[1].

ومعنى هذا أن التناص هو دخول نص في علاقة مع نص آخر أو نصوص أخرى في موضوعه أو تعبيره .

فالتناص ظاهرة طبيعية في الشعر، فالشاعر المتمكن هو الذي له ثقافة واسعة و يكون مطلع على تراث الأقدمين ، فكلما تمرس الشاعر بشكل أكبر بشعر التراث في مصادره الأولى "كلما إتسع حفظه لأكبر عدد من روائع نماذجه ،كان ذلك أقدر على بناء شخصيته الشعرية و أعون على إستقامة عوده و إستبانة طريقته ، و ليس ذلك فحسب بل عمل ذلك على ثراء قصيدته و غناها بعناصر الماضي و الحاضر و الذات و الموضوع ،و الوعي و اللاوعي و التاريخ و الواقع،مما يجعل القصيدة نصا معرفيا متعدد الأبعاد و الدلالات "[2]

و لمعرفة أصالة شاعر ما موقف و رؤية و صياغة ،لابد للعودة إلى الأصول الأساسية التي ينتمي إليها شعره،بقدر ما تكون هذه الأصول قوية متجذرة، بقدر ما تكون بالتالي شخصية واعية ومما لاشك في أن الثقافة المحافظة التي تلقاها الشاعر في الجزائر أو في تونس قد حددت منذ البداية المجال الذي كان يستند منه **مفدي زكرياء** ثقافته الشعرية ، كما ساعدت النهضة الإحيائية التي كانت دائبة الحركة في المغرب

[1]- تدروف ، نقد النقد ، ترجمة سامي سويدان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986 ، ص 124.
[2]- نورة بن حملاوي ، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة باتنة ، جوان 2003 ، **العدد** 08 ، ص 17.

العربي في العشرينيات و الثلاثينيات على توجيه الشاعر إلى هذه المنابع الثقافية الأصلية المتمثلة في التراث الأصيل بمصادرة الغنية المعروفة من القرآن الكريم ، وأدب عربي بمفهومه الواسع وتاريخ الإسلامي وكل ما يمت بصلة إلى حضارة العربية الإسلامية ، وفي هذا المجال سوف نعرض بعض النماذج الإسلامية .[1]

القرآن :

الدارس لشعر مفدي زكريا يلحظ تأثره العميق بالنص القرآني في لفظه ومعناه و أسلوبه ، وهذا ما زادا في قيمة شعره ، والقرآن الكريم ثان أقوى منبع و أغزر منهل يستمد منه الشاعر لغته ، و إذا تقصينا أثر القرآن في شعره ، ووضع النص الشعري على مستوى النصوص القرآنية ، واكتشاف التقارب من كل نص جديد و العلاقة بين التجربة الشعرية ومحفوظه من القرآن في تشكيل بنية النص .

إذ نلمح في مدة الأبيات الآتية أنه يترك دليلا لفضيا على إستنجاء الفكرة القرآنية :

هو الإثم زلزل زلزالها (فزلزلت الأرض زلزالها)

وحملها الناس أثقالها (فأخرجت الأرض أثقالها)

وقال ابن آدم في حمقه يسألها ساخرا (مالها)؟

ألا إن إبليس أوحى لكم ألا (أن ربك أوحى لها)[2]

من الواضح أنه تأثر بكتاب الله تأثرا كبيرا ويتجلى هذا التأثر في التعبيرات القرآنية الواردة في الأبيات فهي مستوحاة من سورة الزلزلة من **قوله تعالى :<< إذا زلزلت الأرض زلزالها و أخرجت الأرض أثقالها و قال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها >>** [3]

وقد سيطر عليه النص القرآني إلى درجة اعتقاده بأنه يمكن التعبير على مثل هذا المشهد إلا بالتناص اللفضي مع القرآن وكان يحاول أن يكثف للمتلقي ما يقرؤه في كتاب **الله عز وجل** بإدخاله مؤشرات ذاتية بإدماج تعبيرات مستقاه من الكتاب

[1]- محمد ناصر ، مفدي زكريا ، شاعر النضال و الثورة ، ص 106.
[2]- مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 273-274.
[3]- نورة بن حملاوي ، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة باتنة ، 2003 ، ص 23. **الزلزلة** – الآية 5-

إذا هذا يعني أن " التناص اللفضي ظاهرة لغوية تستحسي على الضبط و التقنيين إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته و قدرته على الترجيح على أن هناك مؤشرات تجعل التناص اللفضي يكشف على نفسه" [1]

وفي وصفه للمجاهدين الجزائريين أيان الثورة يقول :

بنا شئة هناك أشد وطئا ** وأقوم منطقا و أحد نابا [2]

وهو تناض لفظي من **قوله تعالى : <<إن ناشئة الليل هي أشد وطئا و أقوم قيلا>>** [3]، حيث الآتية لا نتحدث عن الجهاد .

وهذا البيت يشير إلى ورود صيغة جملة قرآنية بأكملها .

وهكذا يتحول النص إلى تدفق للملفوظ القرآني إلى جانب فيض الذاكرة الفردية وتصبح بنية القصيدة قابلة للانفتاح عن طريق الإضافات المستمدة من المشهد وهكذا تتجسد العلاقة بين النص الشعري و النص القرآني ، فهي ليست خضوعا مطلقا و إعادة إنتاج لنص القرآن ، كما أنها ليست إبداعا تاما ، وهي ليست علاقة متكافئة لكنها في الوقت نفسه علاقة انفصام ، وإنها أقرب إلى العلاقة المرضية .

ونخلص إلى ملاحظة مفادها أنه لا تخلو تقريبا أي قصيدة من قصائده من ألفاظ و تراكيب القرآن الكريم ، ولقد كان توظيفه للفظ القرآني توظيفا فنيا ناجحا .

2-الأدب العربي :

يمتلك مفدي ثقافة عميقة و إطلاعا واسعا على التراث الأدبي العربي ، و خصوصا الشعر العربي منه ، و يتجلى هذا الإطلاع و الإعجاب بالعديد من أعلام العرب سواء القدماء أو المحدثين فمعجمه الفني ثري بروافد تتجاوز العصر الذي عاش فيه ، حيث يرجع أصول بعضها إلى العصر الجاهلي مرورا بالعصور التي تلت الجاهلية.

و للوقوف على هذه القضية ينبغي أن نغوص داخل تشكيلات شعره المتنوعة من أجل القدرة على الإمساك بالخطوة الفنية الآتية إليه من القديم و الجديد ، ذلك لأن " النص كدليل لغوي شبكة معقدة فيها عدة

[1]-نورة بن حملاوي ، مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية ، جامعة باتنة ، جوان 2003 ، العدد 08 ، ص 28
[2]- مفدي زكرياء ، اللهب المقدس ، ص 31.
[3]-سورة المزمل – الآية 5-

نصوص فلا نص يوجد خارج النصوص الأخرى .أو يمكن أن ينفصل عنها و هذه النصوص الأخرى اللانهائية هي ما نسميه بالنص الغائب غير أن النصوص الأخرى المستعادة بالنص تتبع مسار التحول و التبدل حسب درجة وعي الشاعر بعملية الإيداع و مستوى التأمل الشاعرية لذاتها"[1] .

و هذا يعني أن وجود النص أي نص يستلزم وجود نصوص أخرى سابقة عليه أو متزامنة معه .

و يمكن أن نقول أن مفدي زكريا كان كثير التحاور مع الشعر العربي و هذا الحوار واضح في جل قصائده ، و ظل أثر الشعر عميقا في نفسه حتى ظهر في قصائده في مواطن كثيرة مثل قوله:

يا مصر يا أخت الجزائر في الهوى

لك في الجزائر حرمة لم تقطعا

هذه خواطر شاعر غني بها

في الثورة الكبرى فقال و أسمعا[2]

إن الشاعر كشف للمتلقين ما قرأه في ديوان أبي نواس مع إدخاله مؤشرات ذاتية مختلفة يقول أبي نواس :

دعوتك و الأبواب ترتج ** فلكن غير مدعو مجند[3]

ومن يقرأ بإمعان أبيات زكريا نجده متأثر بقصيدة أبي نواس فقد تجاوز هذا التأثر الألفاظ و المعاني إلى بناء القصيدة فالروح واحد و النسق واحد ' و تتم إعادة النص الغائب في شعره عن طريق اجترار اللفظ و العبارة فتتبادل المواقع في النص فيتغير السياق و دلالة المعنى عبره'فقوله" يا مصريا أخت الجزائر في الهوى " هو اجترار لقول أبي النواس "دعوتك و الأبواب ترتج دوننا "مع اتفاق في الهدف و اختلاف في المكان و الزمان "فالمستغاث عند كل منهما واحد فمفدي يستغيث بمصر التي هي القوة و الحصن المنيع في زمن الاحتلال ,و كذلك أبو النواس الذي يستغيث بابن عمه و الذي يمثل رمز الدولة الحمدانية التي لم يبق سواها حصنا منيعا في زمن السقوط الحضاري العربي الإسلامي"[4]

[1]-نورة بن حملاوي ، مرجعسابق ، ص 9.
[2]- مفدي زكرياء اللهب المقدس ، ص 64.
[3]- ابي نواس ، زاوية ابن خلوية ، دار بيروت للطبع و النشر ، 1979 ، ص 37.
[4]- عمر أحمد بوفرورة ، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، الشعر و السياق المتغير الحضاري ، دار الهدى للطباعة و النشر ، عين مليلة الجزائر ، ص 36.

فقصيدة أبو فراس هاجرة إلى قصيدة مفدي من خلال القراءة و إعادة الكتابة ,غير أن قراءة مفدي زكريا لهذه القصيدة كانت قراءة عاجزة عن استيعاب النص لأبي فراس و أكتفت باستغلاله استغلالا خارجيا دون التعمق مما جعل هذا التناص يتسم ببعض القصور .

و من أمثلة هذا التناص إلتفاؤه في الأفكار و المشاعر و المعاني المتقاربة مع قصيدة الشعر الجديد و هنا نجد شعر مفدي لم ينحل من المؤثرات الأدبية الحديثة .و قد سعى للاستفادة من تجارب الشعراء المحدثين و من التجارب معاصرية أيضا .و خاصة تأثره بعمليات القصيدة الرومانسية العربية .حيث ولع بلغة الوحدانيين و شغفهم بألفاظهم و نزعتهم الثورية .و ابرز شاعر عربي حداثي تأثر به مفدي زكريا هو الشاعر الكبير المتنبي إذ يقول المتنبي :

أنا ملئ عيوني عن شواردها ** فيصهر الخلق جواها و يختصب[1]

و نجد مفدي يقول:

مولاي خذها نفحة من شاعر ** ما كان يوما في القريض يداري

كلماته بالمعجزات طوافح ** وحديثه كالكوكب السيـار

ورواته عجب بكل محلة ** لا فرق بين مجاهد وهزاز

حيث نلتمس هنا عند المتنبي اعتزازه القوي بنفسه و كبريائه الذي يصل إلى حدود الغرور أحيانا و تطلعه الدائم إلى السيطرة و النفوذ , و عرف عن مفدي زكريا طموح شعري و قوة في الشخصية و ثبات عن المبدأ لا يزحزحه إرهاب و لا يصرفه عنه تعذيب أو سجن ,كما يلتقي الشاعران في رأيهما نفيهما التام بأن القوة فلسفة و نظرية هذه الحياة و أن أخذ الحقوق كاملة و رفض أنصاف الحلول , و نبدأ المواقف المتخاذلة و نجد نموا داخليا متنقلا بين نص مفدي زكريا المتناص مع نص المتنبي ,من اللحظة الحاضرة إلى الزمن القريب .و يجمع بينهما مؤشر دلالي واضح هو عودة النص إلى النص الغائب للإقتداء .

و في الختام فإن مفدي منتج و معيد للإنتاج ,يكتب النص الغائب فيحوله و يتحول معه جسديا وشعوريا و هذا ما يؤثر مفهوم الشعر و يحدد دلائله عنده بكونه معاناة و إعادة إنتاج .

[1]- مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 117.

3- الحدث التاريخي:

تعتبر المادة التاريخية و لا سيما التاريخ الإسلامي قديما و حديثا من أغنى المصادر التي سيتقي منها الشعراء الجزائريون صورهم –و مفدي زكريا يمتاز بهذا النوع من التصوير الذي يعرف من التاريخ الإسلامي العربي بسخاء و طواعية و من النادر أن نجد عنده قصيدة تخلو من هذه الصور الإشارية التي تتخذ من الأمجاد التاريخية مادة للتصوير.

و لعل أبرز عمل يجسد هذا الاتجاه عند مفدي زكريا هو **إليادة الجزائر**,ففي عمله هذا نلمس مدى اعتماد الشاعر المعلومات التاريخية و إتخاذه منها مادة أساسية لبناء صوره الشعرية فقد استعرض في إليادته أهم أحداث التاريخ الجزائري ابتداء من العصر الروماني حتى الاستقلال , و قسم هذه المراحل إلى ما يشبه اللوحات الفنية .

و قد ساعده على بناء صوره الشعرية من المادة التاريخية إطلاعه الواسع على المراحل التاريخية للمغرب الإسلامي و تنقله بين أقطاره ووقوفه على منابع الجمال و الحضارة في كل بلد من بلدانه.

و أحسب إن نزوعه الوطني و إيمان الراسخ بوحدة المغرب الكبير تقف أيضا وراء هذا الاتجاه الذي يتميز به شعره .

فهو عندما يتناول بالوصف قطرا من أقطار المغرب يغوص في تاريخه البعيد يستمد منه صوره الشعرية ,و هي في نهل عليه بسخاء و يربط بين الماضي و الحاضر من خلال و صفه الدقيق لكل ما تمتاز به كل بلدة من جمال كبيعي أو حضارة علمية أو ثقافية أو معمارية و لذا نجده كثير الوقوف و الإشادة بهذه المراكز التي تمثل وجه الحضارة في المغرب العربي الإسلامي مثل :القيروان ,تونس و الجزائر قسنطينة وتيهرت بجاية تلمسان و فاس ...و لنأخذ كمثال على عنايته تلك هذه اللوحة النابضة التي يضف فيها بجاية حضارة الحماديين يبدأ منذ المطلع بالصور الإشارية إذ يقول:[1]

أسطور حوضك أم كوثر؟

[1]- محمد ناصر ، مفدي زكريا ، (**شاعر الفضل و الثورة**) ، ص 144-145.

يا أيها ذا الشاطئ الأخضر

ام قصة الأمجاد تشد وابها

في ثغرك الأيام و الأعصر

أم كوكب التاريخ في محفل

روائع و الذكرى به تزخر

أم في شفاه الموج(بلارة)

ينكسر الموج و لا يتكسر

....يا بهجة الدنيا و يا جنة

يحتوي عليها برجها الأحمر

وعلى هذا النحو يستمر مفدي في و صفه يستخرج الصور الشعرية من المادة التاريخية لكل الأعصر و المراحل التي مرت بها بجاية تتدفق عليه قريحة خصبة فياضة لتصل القصيدة حوالي مائة و أربعين بيتا كلها تصوير لأمجاد –بجاية العظيمة و على هذا فإن وجود ظاهرة التناص مع الحدث التاريخي لبنة وحدها بل هناك ظواهر أخرى تتعلق بالشعر العربي .

و هكذا تبين لنا من خلال هذه الدراسة المتواضعة تلك الأصول المتجدرة التي كان يستمد منها شعر مفدي زكريا أصالته و قوته فاستفاد من الأدب العربي في عصوره المزدهرة ابتداء بالمتنبي مرورا بكثير من الشعراء فانعكست في شعره لغة منتقاة لا تتعصب للقديم و تجمد عليه ,و لا تنساق للحديث فتذوب فيه و قبل كل شيء استفاد من القرآن الكريم هذا المعين الداخل الذي لا ينضب فصاحة , و إعجازا و بيانا ,فوظفه في لغته الشعرية ,فأضفى على التعبير عنده سمعة متميزة حمته من التقليد ,و هكذا زاوج بذكاء و حنكة بين التراث متمثلا في أغنى مصادره ,و بين الحداثة متجسدة في أنصع مذاهبها و قد و قف في ذلك أيما توفيق و نجح في ذلك نجاحا باهرا ماله مثيل.

إن المتمعن في شعر مفدي يلاحظ أنه متأثر بالقرآن الكريم إلى حد بعيد،فلغته يغلب عليها اللفظ القرآني، وكما أن المعجم القرآني مصدر لكثير من أفكاره و صوره و مصدر للكثير من ألفاظه و عباراته وهذا يعني أنهم ممن استفادوا من القرآن الكريم حتى إننا لا نكاد نجد قصيدة واحدة عند مفدي زكريا لم يتضح أثر القرآن فيها ظاهرا،فهو إن لم يستغله في تصويرا استغله تعبيرا وإن لم يتضح معنى، و ما من شك في أن القرآن الكريم كان يحتل مكانة مرموقة و مقدسة في نفس مفدي ، وآية ذلك أنه كلما أراد التعبير عن شيء اقتبس من القرآن معنى ولفظا إحساسا منه أن القرآن في نفسه يمثل نهاية السمو الذي لا نهاية بعده . حتى إننا لا نكاد نعثر على قصيدة من قصائده وكانت خالية من اللفظ القرآني.

إن ظاهرة تأثره بالقرآن، و إن تجلت في شعره كله فإنها تأخذ مكانا أكثر وضوحا في قصيدته "فلا عز حتى تستقل الجزائر" التي نظمها في الذكرى السابعة لثورة نوفمبر المباركة (1954–1962)و موضوعها الثورة المسلحة و هي تحوي (92)مقطعا مطلعها:

مددنا خيوط الفجر...قم تصنع الفجر ** و صغنا كتا البعث...قم تنشر السفر

و سنستهل دراستنا لهذه القصيدة باستنباط التناص مع القرآن معنا ولفظا ثم توظيف الرمز و الأسطورة:

من القرآن:

أ-الإقتباس من المعنى :

-النص الشعري:يقول الشاعر-مفدي زكريا-في قصيدة

-لا عز حتى تستقل الجزائر-

و سقنا سفين(الوعد) تمد أشرعها ** يوجها للنصر،من وعدالنصرا[1]

ومعنى هذا البيت مقتبس من

النص القرآني:في قوله تعالى«يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم، و يثبت أقدامكم »[2]

النص الشعري:و قول الشاعر

ولبّاك شعب كاد يفقد ظنه ** (بوعدك)لولا أنه يحفظ الذكرا[3]

ومعنى هذا البيت تناصه من

النص القرآني :في قوله عز وجل «إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا »[4]

1-كحوال محفوظ-من أروع قصائد مفدي زكريا-نوميديا للطباعة والنشر د.ط.د.ت -ص103

2-محمد/7

3-كحوال محفوظ-أروع قصائد مفدي زكريا ص 105

4-الأحزاب / 10.

النص الشعري: في قول الشاعر

وأشربته حب الشهادة فارتمى ** على غمرات الموت تلهبه الذكرى[1]

و لقد اقتبس مفدي زكريا معنى هذا البيت من

النص القرآني: في قوله تعالى «نَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ»[2]

النص الشعري:

وطالبته بالمهر إن رام عزة ** فأسرع من أرواحه يدفع المهرا[3]

معنى هذا البيت الشعري متضمن من

النص القرآني: من قوله سبحانه و تعالى«إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »[4]

1- كحوال محفوظ–أروع قصائد مفدي زكريا ص105

2- الصف/4

3- محفوظ كحوال –أروع قصائد مفدي زكريا ص 105

4- التوبة/ 111

النص الشعري: في قول– مفدي زكريا–

ولقنته أن الجهاد عقيدة ** طوى الأزل العلوي–في صدرها–سراً[1]

لقد تضمن معنى هذا البيت من

النص القرآني :في قوله تعالى«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ؛ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؛ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »[2]

النص الشعري:يقول الشاعر–مفدي زكريا–

– توزع فيها –للشهيد (شهادة) ** بها (بصمات الرب)تطفح بالبشرى[3]

النص القرآني:في قوله تعالى«وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ؛ فَرِحِينَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»[4]

1–محفوظ كحوال–أروع قصائد مفدي زكريا–ص105

2–الصف/ 9 إلى13

3– محفوظ كحوال–أروع قصائد مفدي زكريا–ص105

4–آل عمران /168 إلى 170

النص الشعري:في قول الشاعر:

وحاشاك...هل أخلفت وعدك مرة ** أطعنا وصدقنا فكنت بي براً[1]

معنى هذا البيت الشعري من

النص القرآني: في قوله تعالى:« رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ »[2]

النص الشعري:في قول الشاعر

تكذبه في كل قول فعاله ** مريض، يصوغ الوهم أفكاره البتر[3]

من قوله تعالى :« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ؛ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ »[4]

النص الشعري: يقول الشاعر –مفدي زكريا–

تباركت شهرا بالخوارق طافحا ** و سبحان من بالشعب في ليله أسرى[5]

النص القرآني من قوله تعالى :« سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى »[6]

1–محفوظ كحوال –ألروع قصائد مفدي زكريا–ص 108

2–آل عمران/ 194

3–محفوظ كحوال–أروع قصائد مفدي زكريا –ص108

4–الصف/ 2و 3

5– محفوظ

كحوال–المرجع السابق –ص108

6- الإسراء/
1

7- **الن**

ص الشعري في قول الشاعر:

فرنسا أضاعت حكمها يوم أسلمت ** قيادتها –ديغول–يحكمها قهر[1]

النص القرآني:في قوله تعالى« فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى »[2]

النص الشعري في قول الشاعر:

فلا خير يرجى في سياسة حاكم ** يرى لذة الكرسي من شعبه أحرى[1]

معنى هذا البيت في قوله تعالى في :

النص القرآني :قال عز وجل :« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ »-4-

من هنا نستشف أن مفدي زكريا وظف معاني الآيات القرآنية وسخرها لخدمة قصائده و إثراء جانبه الفكري

1- محفوظ كحوال-أروع قصائد مفدي زكريا ص108

2- النازعا ت/ 24

3- محفوظ كحوال-أروع قصائد مفدي زكريا ص108.

4- المائدة/ 8

ب-الاقتباس من ألفاظ القرآن الكريم:

النص الشعري:يقول الشاعر في قصيدة-فلا عز حتى تستقل الجزائر-

ودست غرور الدهر في كبريائه.. ** فصعّر خدًّا و انحنى العدرا[1]

لقد إقتبس مفدي ألفاظ هذا البيت من قوله تعالى

النص القرآني:« وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ »[2]

النص الشعري يقول الشاعر:

وما دلنا عن موت من ظن أنه ** -سليمان-منساة على وصمها خرا[3]

لقد تضمن هذا البيت ألفاظ قرآنية متجلية في

النص القرآني في قوله تعالى:« فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ »[4]

النص الشعري:يقول الشاعر

ورثنا عصا موسى فجدد صنعها حجافاً ** فراحت تلقف النار لا السحرا[5]

وهذه الألفاظ مقتبسة من قوله تعالى

النص القرآني:يقول الله عز وجل« وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ »[6]

1-محفوظ كحوال-أروع قصائد مفدي زكريا-ص103

2-لقمان/ 18

3- محفوظ كحوال-أروع قصائد مفدي زكريا-ص106

4-سبأ/ 13

5- محفوظ كحوال-أروع قصائد مفدي زكريا-ص104

6-الأعراف/117

النص الشعري في قول الشاعر

و كلم الله موسى في الطور خفيةً ** في الأطلس الجباركلمنا جهراً[1]

و ألفاظ هذا البيت مقتبسة من قوله تعالى

النص القرآني يقول المولى عز وجل« وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا؛ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا »[2]

النص الشعري يقول الشاعر:

وأنطق عيسى الإنس بعد وفاتهم ** فألهمنا في الحرب أن ننطق الصخرا[3]

لقد إقتبس مفدي ألفاظ هذا البيت الشعري من

النص القرآني: في قوله تعالى« إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ »[4]

النص الشعري في قوله:

وكانت لإبراهيم بردا ونار جهنم ** فعلمنا في الخطب أن نمضغ الجمرا[5]

و هذه الألفاظ من

النص القرآني:في قوله تعالى « قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ؛قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ »[6]

1-محمد ناصر -مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة ص119

2-مريم/ 51 و 52

3-محمد ناصر-مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة ص 119

4-المائدة/ 110

5 -محمد ناصر-مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة ص 119

6-الأنبياء/ 68 و69

النص الشعري : كقول الشاعر مفدي زكريا

و آدم بالتفاح ضيّع خلده ** و ماريان بالتفاح نلقي بها زجرا[1]

و هذه العبارات من

النص القرآني :قال الله تعالى « فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ؛ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى»[2]

النص الشعري في قول الشاعر

وكم كنت بين الكاف والنون حائرا** ومذ قلتها- يارب- جنبتني الكفرا[3]

و هذه الألفاظ مقتبسة من

النص القرآني: يقول الله عز وجل « بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»[4]

النص الشعري في قول الشاعر

و يقرأ في التنزيل عند صلاته ** بأنك بعد العسر تغمره يسرا [2]

و ألفاظ هذا البيت مقتبسة من قوله تعالى

النص القرآني :يقول تعالى« فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ؛إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا »[6]

1-محفوظ كحوال -أروع قصائد مفدي زكريا-ص104

2–طه/ 119–123

3– محفوظ كحوال –أروع قصائد مفدي زكريا–ص104

4–البقرة/ 117

5–محفوظ كحوال –أروع قصائد مفدي زكريا–ص104

6 –الشرح/5و6

النص الشعري:يقول مفدي زكريا

ونعصف بالأصنام ندرو حطامها ** هشيما ندعو للهدى الأنفس الحيرى[1]

و هذه الألفاظ مقتبسة من قوله تعالى في

النص القرآني:« وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا »[2]

و هكذا زاوج شاعرنا –مفدي زكريا– ببراعة وحنكة و ذكاء بين ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه في قصائده لأنه يريد أن يكتب النص الشعري ،النص "البيان " النص "المعجزة" مثلما كان القرآن الكريم معجزة وبيان وبلاغة، ولأن مفدي زكريا يرجو الشوامخ و يطمح لأن يكتب نصا شعريا يحاكي في هذا المستوى الرفيع من مستوى النص القرآني.

و لهذا فقد كان شغوفا بشعرية القرآن و معانيه و منبهرا معتبرا بقصصه ، والأحداث التاريخية العظيمة للمرحلة الإسلامية

1- محفوظ كحوال –أروع قصائد مفدي زكريا–ص107

2-الكهف/ 45

و لم يكتف مفدي زكريا بإقتباس الألفاظ و معانيها من القرآن فحسب ، فعمد إلى إقتباس شخصيات و أسماء الرسل و الأنبياء و معانيها الشعرية و إستخدامها كرموز و أساطير .

و نحن بصدد الحديث عن خط الرمز والأسطورة في قصيدة "فلا عز....حتى تستقل الجزائر"

الرمز و الأسطورة:

لقد تواترت أسماء بعض الرسل والأنبياء في قصيدته " فلا عز....حتى تستقل الجزائر " من هذه الأسماء:سليمان، موسى، عيسى، محمد، إبراهيم، آدم، فرعون و هارون ومارون. وكل هذه الأسماء هي لشخصيات دينية.

وتعد شخصية موسى –عليه السلام –أكثر هذه الشخصيات تواترا في شعر –مفدي زكريا–و هذا يدل على بالغ إعجابه بسيرته ، وقصة صراعه مع رموز الشر آل فرعون .

كما آن إقباله على تضمين قصة –موسى–في شعره يرجع إلى سجيته التي تنزع نزوى ثوريا ، وإلى إيمانه العميق بأن الذي أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة .

و لقد استخدم قصة–سيدنا موسى– في مواضع عدة مثل استخدام قصته مع الله في حبل الطور في قوله:

وكلم الله موسى في الطور خفية ** و في الأطلس الجبار كلمنا جهرا

و كذلك اسم سيدنا عيسى –عليه السلام –و هذا الافتتان به و هو مثال للسمو والنقاء و التسامح ، و سيدنا إبراهيم مثالا للفداء والتضحية في سبيل العقيدة و مفدي زكريا في أبيات هذه القصيدة يشير بطريقة الرمز إلى قصص الأنبياء عليهم السلام ، فقصة سليمان مع الجن الذين كانوا يدعون معرفة الغيب لم يتبيّنوا موته إلا بعد أن أكلت الأرض عصاه على لقوله تعالى: « فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ »[1]

و هو يرمز من خلال هذه القصة إلى –ديغول– المتكئ على عظمة زائفة ، ما لبثت وأن تكسرت بيد الثورة ، ويرمز إلى الثورة التحريرية التي تلقف بعصى موسى التي وردت في آيات شتى من القرآن الكريم .

"ثم يقارن في شيء من المبالغة الشعرية بين معجزات الأنبياء موسى الذي كلم الله وعيسى الذي أحيا الأموات و إبراهيم الذي كانت له النار بردا وسلاما .

وآدم و خروجه من الجنة و محمد صلى الله عليه وسلم الذي نصره الله ببدر رغم العتاد والعدد"[2] و يستخدم في كل ذلك أسلوب الرمز كما هو واضح في أبيات القصيدة.

و لم يقتصر توظيف الرمز المستمد من القرآن على الأنبياء و الرسل بل استخدم الشاعر أيضا قصص الملائكة مثل هارون و مارون هذين الملكين اللذين وصفهما القرآن الكريم بأنهما كانا يعلمان الناس السحر –بابل–ليتقوا سحر السحرة ومكائدهم ، وهنا ربط شاعرنا –مفدي زكريا –شخصية الملكين بكل ما هو ساحر الجمال ، رائع الفتنة

و هكذا من خلال هذه الدراسات تتبين لنا تلك الأصول المتجدرة التي كان يستمد منها–مفدي زكريا– أصالته وقوته الشعرية فقد استفاد من الأدب العربي قديمه وحديثه، ومن القرآن الكريم فوظفه في لغته الشعرية فأضفى على التعبير عنده سمة متميزة ، ودمغت شعره بطابع الخصوصية والتفرد ، وهذا زاوج بذكاء بين التراث متمثلا في أغنى مصادره و بين الحداثة متجسدة في أنصع مذاهبها .

1–سبأ/ 14

2–ينظر، محمد ناصر –مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة–ص12

خاتـــمة

الخاتمة:

بعد رحلتنا في البحث والدراسة لمرجعيات الحضور الديني في قصيدة مفدي زكريا فقد كانت متعبة بقدر ما كانت ممتعة و رائعة حاولنا فيها قدر الإمكان الإحاطة بالموضوع بمختلف جوانبه وقصارى ما يمكن أن تدعيه هذه الدراسة أنها استطاعت كشف بعض الجوانب التي دعت الشاعر إلى اللجوء إلى هذا اللون من الكتابة و قد تمكن مفدي من خلال أشعاره و قصائده أن يقدم رؤيا شاملة للحياة الجزائرية أثناء الاستعمار .

كما أن المعجم القرآني الذي استخدمه مفدي كان له دور في التعبير عن حلم الجماعة وقد استطاع أن ذلك الواقع من تلك الظروف القاسية التي عايشها الشعب.

و أهم من كل ما سبق أن مفدي زكريا استطاع أن يبرز البعد الإيديولوجي للثورة الجزائرية إذ أنها تغذيها روح العقيدة الإسلامية الصحيحة التي مافتئ العدوان يعمل على تحطيمها و محاولة إفراغها من محتواها ، وكذلك بين الوجه العربي الأصيل للثورة الجزائرية بالرغم من المحاولات المستعمر الرامية لتدميرها.

فالمعجم القرآني الذي وظفه في أغلب أشعاره ساعد على الوصول على ما كان يصبو له.فأحسن استعماله و توظيفه فأعطى إلى تجربته الفتية أبعاد أخرى من خلال تلك الرؤيا المختلفة التي اعتمدها في شتى كتاباته.

كما نأمل في الأخير أننا وفقنا في تحقيق مرادنا في البحث الذي حاولنا فيه قدر الإمكان بذل الجهد المطلوب لبلوغنا الأهداف المرجوة فلكل أمر إذ ما تم نقصان.

قائمة المصادر و المراجع

فهرس الموضوعات

مقدمة

مدخل : أثر القرآن على الشعر الجزائري الحديث.....ص03

الفصل الأول : التعريف بالشاعر

- مفدي زكريا حياته و نضاله.....ص07
- شاعريته.....ص07
- الظروف السياسة المحيطة بالشاعر.....ص09
- آثاره.....ص12
- وفاته.....ص12

الفصل الثاني : مرجعيات الحضور الذهني عند مفدي زكريا

- الرمز و الأسطورة.....ص15
- القرآن الكريم تعريفه.....ص16
  - لغتا.....ص16
  - اصطلاحا.....ص16
- الأدب العربي تعريفه.....ص18
  - لفتا.....ص18
  - اصطلاحا.....ص18

الفصل الثالث : تجليات الحضور الذهني في شعر مفدي

- التناص.....ص21
- من القرآن الكريم.....ص22
- من الأدب العربي.....ص23
- من التاريخ.....ص26

الفصل الرابع : دراسة تطبيقية للقصيدة فلا عز حتى تستقل الجزائر " أنموذجا"

- من القرآن الكريم.....ص29
- الاقتباس من المعنى.....ص30
- الاقتباس من الألفاظ.....ص35
- من الرمز و الأسطورة.....ص39

خاتمة.....ص40

قائمة المصادر و المراجع.....ص44

أثر القرآن على الشعر الجزائري الحديث :

الحديث عن أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث يتطلب الرجوع إلى الفترة التي سبقت قيام الحركة الإصلاحية وهي البداية الحقيقية للنهضة الأدبية في الجزائر .

ولمعرفة الأثر الذي تركه القرآن الكريم في شعر الشعراء لفتا وأسلوبا وتصويرا ، ومعالجة القضايا والوقوف على مدى مقدرتهم على الارتباط بهذا المصدر الأساسي في الأدب العربي ، وطبيعة هذا الاقتباس والتضمن .

وما علينا إلا دراسة شعر هذه الفترة وتقييم الحركة وتفسير ظواهرها لعلها تساعد على فهم أكثر لظاهرة الأثر القرآني ، في الشعر الجزائري الحديث فللقرآن فضل كبير على الأمة الجزائرية ، وهذا الأثر من نضمه العجيب ، كما بقية اللغة العربية نفسها ، وكانت هذه الثقافة القرآنية غرض المقاومة الآثار الاستعمارية والهجمات الشرسة على الشخصية الإسلامية العربية ومحاولة بعث الحس الشعوري في الجماهير، والاعتزاز بالأصالة ووعي حقيقة الوضع الذي نعيشه .

وهو ما جعل المجال الذي يدور فيه الشعراء محدودا حدده نوع الثقافة التي تعاطوها و إلتزموا بها وطبعها الطابع الاجتماعي الذي نشؤا فيه يقول شلتاغ عبود عن محمد العيد : ".....فإن بيئته الاجتماعية والثقافية لم تكن متفتحة على الثقافات العربية والعالمية الحديثة ، عدا القليل من الصحف والمجالات التي كانت تل من تونس والقاهرة "[1] .

فالشعر عندهم مصطبغ بالصيغة الأخلاقية ويستمد نورانيته من القرآن الكريم في الدرجة الأولى .

يقول محمد العيد:

ما الشعر إلا شعور سما * * خيـــالا بإيحائـــه الساحـــر

يهز النفوس بتيـــــاره * * نسمـو إلـــى الأوج كالطـــائر

وتسبح في عالم شامــخ * * على الأرض هي افكها طاهر[2]

1- مجلة الأصالة – الجزائر – ع61/60 -1978 ص 236

2- ديوان محمد العبد ال خليفة (ش.و.ن.ت) الجزائر 1979 ص26

فالشعر عند محمد العيد إذن رسالة مقدسة وأمانة يجب حملها والاضطلاع بها في سبيل النهوض بالمجتمع.

فارتباط شعره بالقرآن الكريم إلى حد بعيد، إذ نجده يقول عن الذين يتغافلون عن القيام بواجبهم نحو أمتهم، وعن الذين يناوؤونه ويناصبونه العداء:

أدقتهم كأسا من الســـم علقمـــــا * * و أوسعتهم طعنا بحد قناتي

وقلت لهم : من يعش عن نفع قومه * * أقيض له جيشا من الكلمات[1]

مثلما قال الله عن الذين يتعامون عن ذكره ، إنه يسخر لهم شياطين يلازمونهم بالوسوسة <<**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهوله قرين** >>.[2]

ويقول الأمين العمودي مفصحا عن حالته المأساوية وقد عاش متشائما متبرما من الحياة ، نتيجة الظروف القاسية التي مر بها :

حزني دائم بها ، مستمر * * و سروب يمر من السحاب[3]

فيحياته كلها حزن وألم وتعب ، وإذا ما رزق لحظات من السعادة فهو لا يكاد يحس بها ، لأنها تمر مر السحاب دون أن تترك فيه أثرا ملموسا ، والعبارة (مر السحاب) مقتبسة من **قوله تعالى** <<**وترى الجبل تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب صنع الذي أتقن كل شيء. إنه خبير بما تفعلون** >> [4]

1- ديوان محمد العيد ص 11
2- الزخرف 35
3- شعراء الجزائريين العصر الحاضر ج2 ص 24
4- النمل90

ومن الشعراء الجزائريين الكبار المتأثرين بالنص القرآني نجد الأمير عبد القادر، إذ يقول زكريا صيام " للقرآن الكريم مدد ، وافر في بنية القصيدة الأميرية ، ذلك لأنه سرت في عروق الأمير مند نعومة أضافره حتى خفضه على يد والده وعلماء قريته"[1]

إذ يقول في أحد أبياته قصائده:

يا صاح ' إنك لو حضرت سمانا ** وقت انشقاقها حين لا تتماسك

وشهدت أرضا زلزلت زلزالها ** ألفت ما فيها والجبال دكادك [2]

ويتجلى هادا التأثر في التعبيرات القرآنية الواردة في البيتين فانشقاق السماء مستمدة من قوله تعالى <<**إذا السماء انشقت**>> [3]

وزلزلت الأرض آتية من **قوله تعالى :** <<**إذا زلزلت الأرض زلزالها**>> [4]

ومن خلال هذه النماذج يتضح لنا تعلق الشعراء الجزائريين بالقران ، ومحاولة السمو بأدبهم إلى أعلى مرتبة ، أو محاولة الاقتراب من بيان القران – إذ نعثر في إشعارهم على كثير من ألوان البيان والطرق البلاغية في تأدية المعاني ، مما استعمله القران – فأوردوها في أشعارهم مع المحافظة على المضمون الذي يورد فيها في الأصل .

حسبنا أن تكون هده الإشارات توطئة لموضوع هذه الرسالة تساعد على فهم أكثر لظاهرة الأثر القرآني في الشعر الجزائري الحديث .

وسنقف عند الشاعر الجزائري الكبير **مفدي زكريا** لمعرفة مدى استفادته من الصور القرآنية ومدى قدرته على استلهامها للتعبير عن أحاسيسه و مشاعره ، والإبانة عن أفكاره ؟.

وللإجابة عن هذا السؤال نبتدئ هذه الرسالة بمدخل عن حياة ، الشاعر . والوقوف عند الأثر القرآني في إشعاره.

---

[1]- زكرياء صيام ، ديوان الأمير عبد القادر ، ديوان المطبوعات الجامعية المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، د ط ، د ت ، ص 72.

[2]- المرجع نفسه ، ص 247.

[3]- الانشقاق -1-

[4]- الزلزلة-1-